اسم الدرس : موضوعات سورة البقرة (٢)

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

الحمدلله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم. تكلمنا بالأمس عن فضائل سورة البقرة وكيف أن هذه السورة العظيمة تأتي بالخير للإنسان في حياته، وأيضًا في دينه ودنياه، كيف (تأتيه بالبركة وتصرف عنه البطلة)[١].

❖ موقع سورة البقرة:

سورة البقرة في هذا الموقع في أول المصحف، تخيل إنسانًا أسلم حديثًا، ولا يعرف ما هو القرآن، وبدأ يفتح القرآن ليتعرف على القرآن، أول سورة تقابله سورة البقرة. من المؤكد أن هذا الموضع في أول القرآن مع أطول سورة مع أعظم آية –آية الكرسي– والفضائل التي ذكرناها كلها من سنام القرآن، بالتأكيد هذه السورة فيها شيء مهم، وفيها معنى مهم يجب أن نبدأ به في الطريق إلى الله عز وجل. أي أن السورة موضعها في أول المصحف! بمعنى أن شخصًا أسلم لأول، ما هو دينكم هذا؟ أين الدين؟ أين المعجزات؟ فأعطيناه القرآن، فتح فما هو أول شيء وجده؟ البقرة.

– في البداية وجد الفاتحة وفيها ثناء على الله عز وجل ثم طلب الهداية، ثناء وطلب، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة ٢] ثناء، ثم طلب من الله عز وجل ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[الفاتحة ٦].

– بعد ذلك يدخل في سورة البقرة، فربنا يقول له في أول البقرة: الهدى الذي تطلبه في الفاتحة، ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[البقرة ٢] هذا هو الهدى، بدايات الهدى الآن تظهر في سورة البقرة. أنت تطلب من ربنا أن يهديك، استمر في القراءة حتى تحصل على الهدى. لذلك عندما تقرأ الفاتحة – في الصلاة–، تقرأ بعدها ما تيسر من القرآن؛ هذا هو الهدى. ألست تطلب الهدى؟ إذًا الهدى شيئان:

- أن تعرفه.
- ثم أن تعمل به.

فأن تعرفه هو عن طريق كتاب الملك سبحانه وتعالى، ثم تطبقه، لذلك بعدما تقرأ الفاتحة وتقول ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[الفاتحة ٦] فتقرأ آيات من القرآن فيها هدى، بعدما تنتهي الآيات ماذا تفعل؟

[١] [عن أبي أمامة الباهلي]: اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتِي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْراوَيْنِ البَقَرَةَ، وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ، فإنَّهُما تَأْتِيانِ يَومَ القِيامَةِ كَأنَّهُما غَمامَتانِ، أوْ كَأنَّهُما غَيايَتانِ، أوْ كَأنَّهُما فِرْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ، تُحاجّانِ عن أصْحابِهِما، اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فإنَّ أخْذَها بَرَكَةٌ، وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا تَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ. قالَ مُعاوِيَةُ: بَلَغَنِي أنَّ البَطَلَةَ: السَّحَرَةُ. [وفي رواية]: غيرَ أنَّه قالَ: وكَأنَّهُما في كِلَيْهِما، ولَمْ يَذْكُرْ قَوْلَ مُعاوِيَةَ بَلَغَنِي. مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٨٠٤ • [صحيح]

تركع، الركوع هو إعلان قبول ما قرأت! أنني يا رب أوافق وسأطبق، وقابل لأن أخضع لما قرأت. إذًا الهدى شيئان: قرآن وتطبيق، أي علم وعمل.

❖ من المعاني المحورية في سورة البقرة:

حسنًا، نرجع مرة أخرى للسؤال: ما الموجود في سورة البقرة؟ ما المعنى العظيم المهم –طبعا سورة البقرة مليئة بالمعاني– ماذا من المعاني المحورية؛ لأن ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة ٢٥٥] سبحانه وتعالى، فمستحيل أن يحيط إنسان علمًا بالقرآن، هذه عبارة عن ماذا؟ نفحات من الله عز وجل منّ بها على أهل التفسير، ونحن نحاول أن ننتقي من كلامهم، لكن سيظل القرآن معطاء إلى يوم القيامة، لا يخلق: أي لا يبلى، (لا يخلق على كثرة الرد)[٢]، أي من كثرة ما تعود القرآن مرة بعد مرة القرآن وكأنه أول مرة أُنزل، مليء بالعطايا. ما المعنى المحوري الذي في سورة البقرة –أو من المعاني المحورية في سورة البقرة– مهم جدًا أن تطبق هذا المعنى في حياتك قبل أن تبدأ أي شيء في الدين؟

*** هو الاستسلام للملك سبحانه وتعالى، وقبول تنفيذ الأوامر بدون مماطلة، بدون مجادلة، بدون تحريف، بدون تأويل، أن تطبق أمر الله عز وجل.**

حسنًا، دعونا نلقي نظرة سريعة على سورة البقرة، سورة البقرة بدأت ب﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى﴾[البقرة ٢] وختمت آخر آية في سورة البقرة بماذا؟ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[البقرة ٢٨٦] التلكيف، وأن التكليف يأتيك بما تستطيعه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾، ثم أدعية تطلب من الله عز وجل أن يخفف عنك وأن يحمل، يصرف عنك الإثم وألَّا يُحمِّلك ما لا طاقة لك به وقال الله عز وجل بعد هذه الثلاث لما قرأها المؤمنون، قال سبحانه وتعالى: قد فعلت، كما جاء في صحيح مسلم: (﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾[البقرة ٢٨٦] قال ربنا: قد فعلت)[٣]. الموضوع انتهى.

---

[٢] [عن عبدالله بن مسعود]: إنَّ هذا القرآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ فتعَلَّموا مَأْدُبَتَه ما استطعتم وإنَّ هذا القرآنَ هو حبلُ اللهِ وهو النورُ المبينُ والشفاءُ النافعُ عِصْمَةُ مَن تَمَسَّكَ به ونجاةُ مَن تَبِعَه لا يَعْوَجُّ فيُقَوَّمُ ولا يَزيغُ فيُسْتَعْتَبُ ولا تَنْقَضِي عجائبُه ولا يَخْلَقُ عن كَثْرةِ الرَّدِّ اتلُوه فإنَّ اللهَ يأجرُكم على تلاوتِه بكلِّ حرفٍ عَشْرُ حسناتٍ أما إني لا أقول ب الم حَرْفٌ ولكن بالألفِ عَشْرًا وباللامِ عَشْرًا وبالميمِ عَشْرًا
الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ٢٦٤/٢ • إسناده لا بأس به في المتابعات رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير الهجري واسمه إبراهيم بن مسلم وهو لين الحديث

[٣] [عن أبي هريرة]: لَمَّا نَزَلَتْ على رَسولِ اللهِ ﷺ {لِلَّهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرْضِ وإنْ تُبْدُوا ما في أنْفُسِكُمْ أوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ به اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَن يَشاءُ واللَّهُ على كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ٢٨٤]، قالَ: فاشْتَدَّ ذلكَ على أصْحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فأتَوْا رَسولَ اللهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا على الرُّكَبِ، فقالوا: أيْ رَسولَ اللهِ، كُلِّفْنا مِنَ الأعْمالِ ما نُطِيقُ، الصَّلاةَ والصِّيامَ والْجِهادَ والصَّدَقَةَ، وقدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذِه الآيَةُ ولا

حسنًا، سورة البقرة ستجد أنها عبارة عن:

- مقدمة تقسم المجتمع في المدينة ثلاثة أقسام: مؤمنين، وكفار، ومنافقين.

- وبعد ذلك قصة بدء الخلق؛ الموضوع كله كيف بدأ أصلًا؟ من أول لحظة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة ٣٠] أن ربنا يقول للملائكة أنا سأُنزل خليفة في الأرض.

- ثم شوط طويل عن تعامل بني إسرائيل مع الوحي، مع كتاب الله عز وجل الذي أُنزل عليهم، مع التوراة. كيف يتعاملون معه؟ كانوا مرة يماطلون، مرة لا يطبقون، مرة يستهزئون، مرة يُغيروا، يُبدلوا ﴿ٱشْتَرَوْا بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[التوبة ٩]، مرة لا يتعلمون أصلاً إلا أمانيّ، لا يقرأون أصلاً كتابهم أو الوحي، شوط طويل لبني إسرائيل.

- ثم قصة سيدنا إبراهيم وبناء الكعبة.

- ثم تحويل القبلة؛ الجزء الثاني يبدأ بتحويل القبلة ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾[البقرة ١٤٢].

- ثم مجموعة من الأوامر المتتابعة حتى نهاية السورة وتختم ب ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة ٢٨٦].

الجزء الثاني: أحكام القصاص، ثم بعض من يتركون مالًا ويوصي فيه الوصية، ثم الصيام ثم الحج متداخل مع القتال، ثم الصلاة متداخلة مع الطلاق، ثم آيات الأموال كلها في النهاية: الربا والدَّين والصدقات، هذا آخر شيء في سورة البقرة.

هذه الخريطة السريعة لسورة البقرة. صلوا على النبي عليه الصلاة والسلام. هل أنتم منتبهون؟ هل تتخيلون سورة البقرة أمامنا؟ هل تعلمون أن الشيخ محمد عبدالله دراز من مشايخ الأزهر القدماء-رحمه

نُطِيقُها، قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أتُرِيدُونَ أنْ تَقُولوا كما قالَ أهْلُ الكِتابَيْنِ مِن قَبْلِكُمْ سَمِعْنا وعَصَيْنا؟ بَلْ قُولوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وإلَيْكَ المَصِيرُ، قالوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وإلَيْكَ المَصِيرُ، فَلَمّا اقْتَرَأَها القَوْمُ، ذَلَّتْ بها ألْسِنَتُهُمْ، فأنْزَلَ اللَّهُ في إثْرِها: {آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنْزِلَ [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمّا فَعَلُوا ذلكَ نَسَخَها اللَّهُ تَعالى، فأنْزَلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلّا وُسْعَها لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخْطَأْنا} [البقرة: ٢٨٦] قالَ: نَعَمْ {رَبَّنا ولا تَحْمِلْ علَيْنا إصْرًا كما حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ مِن قَبْلِنا} قالَ: نَعَمْ {رَبَّنا ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لنا بهِ} قالَ: نَعَمْ {واعْفُ عَنّا واغْفِرْ لنا وارْحَمْنا أنْتَ مَوْلانا فانْصُرْنا على القَوْمِ الكافِرِينَ} قالَ: نَعَمْ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٢٥ • [صحيح]

الله عز وجل- كانت قد كثرت شبهة أن القرآن ليس مترابطًا، مرَّ على هذا الكلام حوالي سبعين أو ثمانين عامًا، شبهة أن السور الطويلة ليس لها علاقة ببعضها البعض. فألف كتابًا خصيصًا ليرد على هذه الشبهة اسمه "النبأ العظيم"، من أروع الكتب، يتكلم عن قيمة القرآن، كلام رائع عن القرآن، ثم فصل طويل يربط سورة البقرة من أولها لآخرها ببعض، اسمه "النبأ العظيم" للشيخ محمد عبدالله دراز، وأسلوب بياني رائع. وجهود العلماء في ربط سورة البقرة رائعة، وسيظل القرآن معطاء، كل شخص يدخل يغترف من الكنز ولا ينضب أبدًا، وكأنه جديد، لأول مرة يفتح.

❖وقت نزول سورة البقرة:

سورة البقرة متى نزلت؟ متى كان بداية نزولها؟ في أوائل المدينة. المسلمون كانوا يعيشون في مكة، من الأشياء التي تفيدنا فعلًا في القرآن: واقع نزول القرآن على الصحابة، المسلمون يعيشون في مكة، كل مَن أمامهم كفار، الكفار متجبرون متعنتون، الكافر عندما يجد المسلم فيضربه ويعذبه ويشتمه.

المؤمن عندما ذهب إلى المدينة فُوجئ بصنف غريب جدًا ! عندما يقابله يقول له: السلام عليكم! أنا مؤمن! جزاك الله خيرًا! فالمؤمن: ما هذا؟! نحن مؤمنون ولا نقول هذا الكلام ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ﴾[آل عمران ١١٩] وجدوا صنفًا غريبًا اسمه المنافقون، المؤمنون لم يعتادوا عليه، العرب لم يعتادوا على الكذب واللف والدوران هذا، هذه كانت أخلاق اليهود. اليهود اكتسبوا هذه الصفة من كثرة تعذيب فرعون لهم، أصبحت فيهم هذه الصفة، التحريف والتبديل والتغيير والمراوغة.

المؤمنون عندما ذهبوا إلى المدينة كانوا يحتاجون لمن يُفهمهم، فالله عز وجل شرح لهم الموضوع وقال لهم هناك مؤمنون، وهناك كفار، وهناك منافقون في ثلاثة عشر آية. خمس آيات مؤمنون وكفار، لذلك ماذا قال ربنا ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾[البقرة ١-٣] المؤمنون أناس واضحون. الكفار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾[البقرة ٦] الكفار أناس واضحون.

عندما تحدث عن المنافقين لم يقل إن الذين أو إن المنافقين، ماذا قال؟ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[البقرة ٨] مختبئين في وسط الناس، فلا تعرف من يتبع هؤلاء؟ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أول وصف للمنافقين في القرآن ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ فالمنافقون يعرفون كيف يميلون الكلام جيدًا؛ لذلك ربنا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أنت ستعرفهم أصلاً من كلامهم! ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي﴾ ماذا؟ ﴿فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾[محمد ٣٠]، لأنه من

كثرة ما يكذب سيقع! يظل يراوغ يراوغ ويكذب وينسى فيقع، أنت ستعرفهم ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾[محمد ٣٠] ربنا يقول للنبي صلى الله عليه وسلم كان يمكنني أن أبين لك علامات مميزة للمنافقين ويُفضحون في المؤمنين، لكن ربنا لم يفعل ذلك. لكن كيف سنعرفهم؟ عن طريق القول لأن كل حياتهم كلام.

الشاهد أن هذه كانت مقدمة في سورة البقرة، فالمسلمون ذهبوا ورأوا، لكنهم سيبدأون دعوة للعالم من المدينة. فطالما سيبدأون دعوة للعالم من المدينة، فربنا يذكر لهم القصة من الأول، قبل أن يتكلموا مع بني إسرائيل وهم اليهود الذين كانوا في المدينة، ربنا يقول لهم سأذكر لكم القصة من البداية.

دائمًا القرآن يفعل هذا، يحكي الموضوع من البداية، بمعنى أن ربنا تكلم في سورة آل عمران عن سيدنا عيسى، أتى بالموضوع من البداية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾[آل عمران ٣٣-٣٤]، وأتى بقصة ولادة مريم، وبعد ذلك سيدنا عيسى، أن تبدأ بالأصول بشكل صحيح، وتبدأ لتصل حتى النقطة التي تتحدث فيها.

❖ وظيفة الإنسان:

فربنا أتى من لحظة بدء الخلق لآدم ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة ٣٠] من هو؟ وما هي وظيفته؟ لكي يفهم الإنسان لماذا يعيش في الأرض؟ لماذا هاجرتم إلى المدينة؟ لماذا تريدون أن تفتحوا البلاد؟ لماذا تريدون أن تنشروا الدين؟ وما هي وظيفة الإنسان أصلًا في الحياة؟ خليفة؛ أي يقوم بمراد الله في الأرض.

مرة أخرى، هناك سماوات وهناك أرض، الملائكة في السماوات يطبقون مراد ربنا في السماء، فربنا يقول ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ربنا كان من الممكن أن ينزل ملائكة تطبق مراده في الأرض، لكن ربنا لم يقم بذلك، الذي سيطبق مراد ربنا على الأرض يكون مخلوقا من الأرض، الأرض فيها شهوات، إذًا من سيطبق مراد الله على الأرض يكون بداخله أيضًا شهوات، فخُلق مخلوق من الأرض ليطبق مراد الله على الأرض. إذًا دورنا على الأرضِ، هبطنا إلى الأرض كي **نُظهرَ العُبُودِيَّةَ للَّهِ** كما تُظهرُ الملائكةُ العُبُودِيَّةَ للَّهِ في السماءِ، هذا هو دورنا على الأرض، الكونُ كلُّهُ يسبحُ بحمدهِ سبحانَهُ وتعالَى.

ومن آثارِ قدرتهِ سبحانَهُ وتعالَى أنَّهُ خَلَقَ مخلوقاتٍ شتى، فهناك ملائكةٌ من نورٍ في السماءِ، تطبق مراده سبحانه وتعالى في السماء ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء ٢٠] يُسَبِّحُونَ بحمدهِ سبحانه

وتعالى. ولكن الذي سيعيش على الأرضِ، هذه عُبُودِيَّةٍ مختلفةٍ تمامًا عن عبوديةِ الملائكةِ. عُبُودِيَّةُ منازعةُ الشهوةِ، عُبُودِيَّةُ مُجَاهَدَةُ نفسكِ كي يرضى عنكَ اللَّهُ عزَّ وَجَلّ.

لذلك الملائكةُ يتعجبونَ لِمَ تُنزِلُ أحدًا في الأرضِ لديه شهوات؟ ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾[البقرة ٣٠]؟ الشهوات تأتي بالفساد، ﴿وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾؟ أنا لدي شهوة والثاني عندهُ شهوةٍ، مَنْ الذي سَيطبقُ شهوتَهُ؟ أنا سَأقتلك كي أُطَبّقَ ما أريد ﴿وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾، ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، قال المِلكُ سبحانَهُ وتعالَى ردًا عليهم ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

*ما معنى ﴿أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾؟

– أي: أعلمُ أنَّ منهم مَنْ سيطبقُ مرادي، هؤلاء الناسُ الذين تعترضونَ عليهم، هُمْ الذين سَيقومون بعبودياتٍ أنتم يا ملائكةٌ لا تستطيعونها! أنتم لا تمتلكونَ شهواتٍ، عُبُودِيَّةٌ لَمْ تَكُنْ موجودةً من قبل. معنى ذلك أنَّ آدمَ ومَنْ سَارَ على دربهِ في طاعةِ اللَّهِ على الأرضِ، يقومون بعُبُودِيَّةً غيرَ موجودةٍ، عُبُودِيَّةُ المنازعةُ، أن مخلوقًا من الأرضِ ينازعُ وينتظرُ مرادَ اللَّهِ مِنَ السماءِ ليطبقهُ، هذه لَمْ تَكُنْ موجودةً، كُلُّ هذا معنى كلمة ﴿خَلِيفَةً﴾[البقرة ٣٠]: يطبقُ مرادَ اللَّهِ في الأرضِ.

*لِمَ أتينا إلى الأرضِ؟

– **كي نُظهرَ العُبُودِيَّةَ للَّهِ**، العُبُودِيَّةُ الشَّامِلَةُ لِكلّ نواحي الحياة، لذلك أحكام سورةُ البقرةِ متداخلةٌ؛ عباداتٌ مع معاملاتٍ؛ آياتُ الصيامِ مع آياتِ القصاصِ والوصيةِ، آياتُ الحجِ متداخلةٌ مع آياتِ الجهادِ، آياتُ الصلاةِ متداخلةٌ مع آياتِ الطلاقِ، هناك تداخلٍ –عبادةٌ ومعاملةٌ– كي لا يفرقُ بينهم أحدٌ، العلمانية جاءت كي تفرق بين الاثنين، لكنَّ الدينَ متداخلٌ ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾[البقرة ٢٠٨] في سورةِ البقرةِ، الدينُ يُؤخذُ كُلَّهُ، فهذه هي العُبُودِيَّةُ.

❖ سبب استبدال بني إسرائيل:

* لماذا قال اللَّهُ هذهِ البدايةُ؟

– لكي يقولَ لبني إسرائيلَ أنتم نسيتم الهدفُ مِنْ وجودِكُمْ! عندما تراوغوا في الدينِ، ولا تقرؤونَ التوراةَ، ولا تتعلمونَ دينَكُمْ، ولا تطبقونَ مرادَ رَبِّنَا في الأرضِ، إذًا تستحقون الاستبدالَ، ربنا قبل أن يقول لِمَ استبدل بني إسرائيلَ، قال لنا وأعلمنا الهدفُ من وجودنا ولِمَ جئنا.

أحيانًا يعيشُ الإنسانُ حياتَهُ ويموتُ ولا يعرف ما يفعل. قالوا لَهُ: ادخل الحضانة فدخل الحضانة، ادخل المرحلة الابتدائية؛ فدخل المرحلة الابتدائية، يجب أن تذاكر فذاكر، دخل المرحلة الإعدادية، قالوا لَهُ: يجب أن تقوم بكل ما بوسعك لأنها شهادة؛ فقام بكل ما في وسعه، دخل المرحلة الثانوية، قالوا لَهُ: الثانوية العامة أخطر مرحلة في حياتك ولو اجتزتها سترتاح بعد ذلك –وخدعوه في ذلك حتمًا– دخل وقام بكل ما في وسعه في الثانوية العامة، ودخل كلية، ويفاجأ أنه دخلَ كليَّة ككلية الطب مثلًا! وبلا شك ندم؛ قالوا لَهُ: سترتاح ولم يسترح، ظل يُدفع ويُدفع ويُدفع، يجب أن تتخرج وتصبح طبيبًا أو مهندسًا كبيرًا، تخرج وأصبح طبيبًا أو مهندسًا كبيرًا ومازال لا يعرف لِمَ يفعل ذلك؟ قالوا لَهُ: أنت يجب أن تتزوج، يجب أن تأتي بالمال كي تصرفَ على أبنائك، أتى بالمال، أنت يجب أن تكون ..أنت يجب..وبعد ذلك مات. لِمَ فعل ذلك؟!كان يسير، ما الذي أتى به هنا؟!

فجأةً! فوجئ بملائكةً توقظه وتسألُهُ مَنْ رَبُّكَ؟ ها ها، ما دِينُكَ؟ لم يقلْ لي أحدٌ هذا الموضوع! قالوا لي أشياءً أُخرى، لكن لم يقولوا لي على موضوع مَنْ رَبُّكَ؟ ومَنْ نَبِيُّكَ؟ لم أعرفْ أنني سآتي هنا من الأصل، وأنْ رَبَّنَا أعطاني الإمكانيات! ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾[الأحزاب ٧٢] وأن هذه الأمانة التي قبلتها، أيّ أمانة أنْ يكون لديك القدرةِ على الاختيارِ، لم أعرفْ أنَّ هذه وظيفتها، أنْ أَعبُدَ رَبَّنَا سبحانَهُ وتعالَى لم أعرفْ أن السير في تلك الخطواتُ لابد أن أُسَخِرَهَا للطاعةِ، وأنا أسير في هذه الخطوات كان يجب علي أن أسخرها للطاعة، لم أكن أعلم ذلك.

ربنا بدأ المصحف بسورة البقرة، فالذي يفتح المصحف كشخصٌ جديدٌ دخل الإسلامَ، يفتحُ المصحفَ يرى أن النَّاسَ ثلاثةُ أصنافٍ؛ مؤمنون وكفار ومنافقون، فَمِنَ البداية مَنْ ستكون؟ يقلب الصفحات، فيرى قصةَ بدءِ الخلقِ، السورة ارتفعت بهِ إلى الأعلى، كسرتْ حواجزَ الزمانِ والمكانِ، صورةٌ مختلفةٌ تمامًا.

أريدك أن تعيش لحظاتَ شخص دخل الإسلام حديثًا، ويفتح كي يتعرفَ على هذا الدينُ، فَمِنْ أولِ لحظةٍ يقولُ لَهُ المصحفُ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[الفاتحة ٦] أين هذا الهدى؟ الهدى في سورة البقرة، يقلب الصفحات فيجد ثلاثة أصناف، يقلب الصفحات فيجد قصة بدء الخلق، يقلب الصفحات

فوجد مجموعة من الناس اسمهم بني إسرائيل يخطئون ويسترهم الله، يخطئون أخطاء رهيبة، ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾[البقرة ٥٢] بين الحين والآخر ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، انظر إلى حلم ربنا سبحانه وتعالى. في النهاية تقول لم يعد منهم أي رجاء، هذا أصبح طبعًا فيهم، أنه لا يريد أن يقيد بأي شيء، لا يريد أن يطبق، لذلك يقول الله ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[البقرة ٢٦] في بداية سورة البقرة، آية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[البقرة ٢٦].

* من هو هذا الفاسق؟

– قالوا الرطب، البلحَ الرطبِ حينما يكبر يدفع القشرة، لا يقبل أن تحيط به قشرةَ، فالقشرةُ تبدأُ تتقطعَ، فيقالُ هنا فسقتْ الرطبةُ، لم تتحملْ قشرةً تحيطُ بها. فأيُّ أحدٍ يرفض أن يعيش في كنفِ الدينِ يسمونَهُ فاسقًا؛ لأنه لا يريدُ أنْ يقولَ لَهُ أحد اعمل الحلالَ واترك الحرامَ ولا يريدُ أنْ يسمعَ، ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾[القيامة ٥] هذا من معانِ الفسقِ، أن يرفضُ أنْ يُحاطَ بأيّ دينٍ.

فيقولُ اللَّهُ سبحانَهُ وتعالَى أن بني إسرائيلَ وصلوا لهذه المرحلة، رافضين أيّ دينٍ، أيّ توجيهٍ، حتى الأمر السهل اذبحوا بقرةً يراوغون، لماذا؟ ولِمْ؟ وأين؟ وشكلها؟ ويجادلونَ كثيرًا ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة ٧١]. والغريبُ أنْ السورةَ تُسمَّى بالفعلِ الوحيدِ الذين قاموا به! هناك أفعالٌ كثيرةٌ خطأ قاموا بها، لكن هذا الفعلُ قاموا به فعلًا لكن بعدَ مجادلةٍ، حتى الفعل الذي بعد المجادلةِ ليس هذا ما يريدهُ اللَّهَ! ليستْ القضيةَ أن تعملُ، القضيةُ أن تستسلمُ! أنْ تخضعَ لمرادِ اللَّهِ، ولا تجادلُ.

كان متوقعًا –شخص دخلَ في الإسلامِ حديثًا– وهو يفتحُ كتابَ المسلمينَ، كان يتوقع أن يرى في البداية أوامرَ الإسلامِ، وبعد ذلك يتكلمُ عَنِ الأممِ الأخرى، كان يتوقع أن الجزء الثاني المليء بالأحكام يأتي في البداية ويحل الجزء الأول محل الجزء الثاني، كان يتوقعُ أن ربَّنا يقولُ أحكامَ الإسلامِ كذا وكذا، لكن –خذ حذرك– هناك أمةٍ ثانيةٍ اسمُهَا بني إسرائيلَ عملت كذا وكذا وكذا. لكن الجزء الذي تَكَلَّمَ عن بني إسرائيلَ في البداية قبلُ التحدث عنْ أحكامِ المسلمينَ.

❖ لماذا الجزءُ الأولِ كُلُّهُ جرائمَ بني إسرائيلَ، والجزء الثاني أحكام شرعية؟

– كأنَّ ربَّنَا يقولُ لنا لو ستفعلون كما فعل بنو إسرائيل، إذًا لا فائدة أصلًا أن تكمل، يجب عليك أن تضبط شيئًا قبل أن تسمعُ أي أمرٍ، وهذا ما كان يحدث في مكةَ، ليستْ القضيةَ أن تدخلُ على

الأحكامِ الجزئيةِ مباشرة، إنَّما أن تعرفُ ما معنى ربٌّ، ما معنى عبدُ، وتعرفُ معنى الوحي وأنَّكَ من غيرِ الوحي ضال ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾[٤] عندما نزل سيدنا آدمَ، فسيدنا آدمَ تَابَ إلى اللَّهِ، فربُّنا قال لَهُ أنا لنْ أتركَكَ سَوْفَ أُنَزِلُ لكَ هُدًى، لن أتركك، أفتترك أنت الهُدى؟ ستضلُّ.

فربنا جاء لنا بالجزء الأول وقال لنا، إذا فعلتم مثلما فعل بنو إسرائيل، ستستبدلون، لذلك النقلة بين بني إسرائيلَ وبين الأوامرِ، النقلة بين الجزء الأول والجزء الثاني هناك فاصلة هنا ماذا حدث فيها؟ سيدنا إبراهيمَ وبناء الكعبة وتحويل القبلة.

تحويلُ القبلةُ كأنَّهُ إشارةٌ إلى أن رَبَّنَا رفعَ الاستخلافَ عَنْ بني إسرائيلَ –قبلةُ الشامِ– ووضعها للمسلمينَ عند الكعبةِ، لحظةُ نقلُ القبلةِ هذه، لحظةٌ حاسمةٌ في السورةِ ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ﴾[البقرة ١٤٢]. وأنتَ تقرأُ هذه اللحظةُ –الربع الأخير مِنَ الجزءِ الأولِ والربع الأول من الجزء الثاني– المفترض أن تخافُ مِنَ الاستبدالِ، فالذي سيفعل ذلك، سينزع منه ويتم إعطاؤه لأناس آخرين ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[الأنعام ٨٩] في سورة الأنعام.

ويقولُ الشَّيخُ الطريفي: "**الإسلامُ رداءٌ لا يسقطُ على الأرضِ أبدًا إنْ نزعَهُ أُنَاسٌ أعطاهُ اللَّهُ لآخرين**"

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[محمد ٣٨] فهذه النقلة كي نعرفَ لِمَ جاء تحويل القبلة في المنتصف؟ ولماذا الأمرُ بتحويلِ القبلةِ أَخَذَ رُبعًا كاملًا؟ بالطبع كلّ شيءٍ في القرآنِ إعجاز، ولماذا ختامُ ربع القبلةِ كانت تتكلمُ عَنِ الشهادةِ والأذى والصبرِ والبلاءِ؟ ولماذا أتى بعدها ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾[البقرة ١٥٨]؟ كُلُّ هذا علماءَ على ١٤٠٠ سنةٍ مازالوا يكتشفونَ أشياءً.

ممكن غدًا إن شاء الله نتكلم عن مسألة أيضًا التكليف وما هو أصل الضلال، هناك أصلًا معينًا لو لم يفهمه الإنسان يبدأ يضل، ما هو أسلوب الضلال؟ وكيف يحافظ الإنسان على نفسه من الضلال؟ كيف يحافظ على الاستسلام والخضوع لله سبحانه وتعالى؟

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

[٤] ذكرت هذه الآية في [البقرة ٣٨] و[طه ١٢٣].